

قاعات الندوات خاوية ومختصون يهتمون السوشيال ميديا

ظاهرة انصراف الجمهور القاهري عن حضور الندوات مؤشر خطير على تردي الحالة الثقافية



السوشيال ميديا سبب العزلة (لوحة للفنانة هيلدا حيارى)

السبب الثاني، في رأي عبد الرحيم، هو أنه كانت هناك بعد ثورة يناير في مصر أمال كبيرة في توسيع قاعدة الجمهور الحقيقي، وكانت هذه الأمال قد ارتبطت بطفرة كبيرة مرئية ومسموعة تمثلت في ظهور دور نشر ومكتبات عديدة، ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن وتقلصت الحريات بشكل عام ووقع كبح حريات المبدع بشكل خاص، فتقلصت مساحات وتم وكيف المعروض من مؤلفات في دور نشر كثيرة مالت القاهرة والمحافظات.

لوسائل السوشيال ميديا، فقد صارت وجهة أو فاتريضة تعرض كل صنوف الثقافة بداية من عنوان الكتاب حتى وصوله إلى الجمهور بمتابعاته وقراءته ونقده، وحتى الاحتفاء بالعنوان ونشره كما يقال فهو من جهة يسمح بانتشار الكتاب وكذلك المؤلف لكن بعيدا عن أي تقييم ونقد وفحص حقيقي لكونه يدخل في إطار ماهية هذه الوسائل وطابعها، وأن كسبا كبيرا من روادها يبغى المتابعة السريعة وليس التثقيف ولا الوقوف على متن الإبداع المكتوب.

صيرورتها على مثال واحد لا يتغير، أما عن وسائل التواصل فلا يمكن لها أن تحل المشكلة، لأنها جزء من المشكلة، فقد انصرف الكثيرون إليها وأصبحت هي الباب الذي يفتحوه على العالم. ويرى يونس أن الحل لن يأتي إلا من خلال مؤسسات وأفراد يهتمون بوضع الناس داخل العملية الإبداعية وتلقيها عبر وسيطهم، ووضع الحافز الذي يحقق تجاوبهم، وجمع أرائهم، وإبراز الحوي والمهم منها. وأخيرا يقوم القاص المصري حسين عبد الرحيم بتحميل المسؤولية كاملة

على صفحاتهم ومواقعهم فيراها من حضر وشارك أو من لم يحضر ولم يشارك. والبعض ينجح في بث اللقاء حيا على موقعه من خلال التصوير المباشر.

أما الشاعر والأكاديمي يسري العزب، فيرجع الظاهرة إلى تغيرات طرأت في العقد الأخير على حياة الناس، مما اضطرهم إلى إعادة ترتيب أولوياتهم، وحلت الثقافة في ذيل اهتماماتهم، فنتيجة لانشغالهم بأزماتهم في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، لذلك كان من الطبيعي أن يتشغلوا عن الثقافة وأنشطتها ومنها حضور الندوات، وقد وجد بعض الراغبين مبتغاهم في مواقع التواصل الاجتماعي، وهناك من فقدوا متعة القراءة الورقية واتجهوا إلى قراءة الكتب pdf كنوع من التوفير والتسهيل. ويتهم العزب الفيسبوك بإحداث فجوة بين القراء والمكتبات العامة، أو الندوات العامة، وذكر تجربة الندوة الأسبوعية التي يديرها أسبوعيا بدار الأدباء في وسط القاهرة، فلا يحضرها إلا الأدباء الذين تناقش أعمالهم مصطحبين البعض من أقرانهم وأصدقائهم، أما الجمهور العادي فيفضل المشاركة الافتراضية من خلال تصفح الفيسبوك، الذي يتيح له الكتابة والتعليق على أي شيء دونما رقيب أو مراجع، وهو يطالب بالبحث عن عوامل جذب تشد القراء والمهتمين بالأدب والثقافة فتستعيدهم لتتمل الأمان الشاغرة في القاعات.

السوشيال ميديا

يرى القاص المصري محسن يونس أن انصراف الجمهور العادي، بل طبعي جدا، فهو بمثابة الرد العملي على التردي العام، والثقافة جزء من هذا العام المتردي، فالجمهور يدرك بحذسه أننا نعيش زمن الزيف، والاهتمام المفرط بالبردي، وإقامة مهرجانات الإشادة الكاذبة، كل ذلك صار سمة غالبية لما يحدث جهارا دونما حجل، لقد صار أمر الكتابة سهلا، فلا مراجعة، ولا تصفية من جانب الجهات المنوط بها النشر مثلا، وعموما هي لا تهتم بما ينبغي أن يتم بعد طباعة الكتاب، كقياس الاتجاه القرآني لدى جمهور القراء، أو الأسباب التي جعلت كتابا ما يوزع جيدا.

ويضيف محسن يونس أن انصراف الجمهور عن الندوات الأدبية، يرجع لعدم وجود المثير والحامسي، ولجفاف الأجواء في مثل هذه الندوات النقاشية، إضافة إلى عدم الحصول على الكتاب محل النقاش لارتفاع سعره أو لضعف الدعابة له، وأضيف إلى ذلك زحف الناس وملهم من طبيعة هذه الندوات وتكرار

تعدد هنا وهناك ندوات فكرية وأدبية وثقافية كثيرة، وهي ظاهرة استمرت في التواجد منذ إنشاء الصالونات الأدبية، لكن الصالونات تراجعت وأختفى أغلبها، كما أن هذه الندوات تراجعت بدورها وباتت خالية من الجمهور، ما يطرح التساؤل حول أسباب ذلك، فيما أصبح الاتهام موجها إلى السوشيال ميديا. فهل هي السبب حقا؟

أحمد رجب

على رأسها مواقع التواصل الاجتماعي، كمنافس قوي للندوات، وهذه المنافسة غير متكافئة، فهي أكثر سهولة ومباشرة، وأسرع في تلبية احتياجات الجمهور الراغب في التعاطي مع مصادر الفنون والآداب. حيث يمكنك تحقيق نفس الأهداف الثقافية والمعرفية، وأنت جالس في بيتك، من خلال الموبايل، ودون حاجة إلى تخصيص وقت أو بذل جهد أو إنفاق مال من أجل الانتقال إلى مقر الندوات، التي قد تكون في أماكن بعيدة أو في قلب زحام وسط البلد.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن القائمين على هذه الندوات، كما يرى عبد المحسن، هم في الغالب ممن ينتمون عمريا، إلى الأجيال الأقدم، وهو ما يعكس على اختيار الموضوعات المزمع مناقشتها، وأسماء الضيوف الذين هم، في الغالب، ممن ينتسبون إلى نفس الأجيال القديمة، ولما كان الشباب هم الشريحة الأقدر على الحضور، فقد كانت النتيجة الطبيعية خواء هذه الندوات من الجمهور، عدا المثقفين أنفسهم القائمين على هذه الندوات، تنظيما وشاركا، مما أدى إلى خلق فجوة بين المثقفين والجمهور.

ويقول الشاعر والروائي أحمد فضل شبلول "مواقع التواصل الاجتماعي وعلى الرغم من وجودها بقوة في محيطنا الاجتماعي والثقافي في السنوات الأخيرة، إلا أنها لم تستطع أن تعوض فكرة الصالونات أو الندوات الأدبية والثقافية التي يلتقي فيها الأدباء والمثقفون وجها لوجه. فقد ثبت أنها لا تستطيع أن تقوم بهذا الدور الإنساني الحميم، على الرغم من أنها تمهد له".

وقد تنبه بعض القائمين على الندوات الأدبية أو الثقافية مؤخرا إلى أن وجود نوع أدبي واحد قد لا يجذب الجمهور، فبدأوا ينوعون من أنشطة الندوات لتشمل الشعر والنقصة القصيرة والموسيقى والغناء والتعليقات النقدية السريعة إلى جانب عرض الأعمال التشكيلية والرقص التعبيري، لتكون الندوة حافلة بكل أنواع الإبداع. وقد لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورا في الإعلان والترويج والدعوة إلى مثل هذه الندوات والمقابلات. وقد استطاع المشرفون على مثل هذه الندوات الاستفادة من إمكانات وتقنيات تلك الوسائط فنشروا مقاطع الفيديو التي صورت أثناء عقد الندوة أو الصور الفوتوغرافية ويقومون بإبناؤها

في ما مضى كانت الأوساط الثقافية تتألق بالعديد من الصالونات والندوات الأدبية، وكان جمهور القراء يتسارعون إليها للقاء كتابهم المفضلين والاستماع إلى مداخلات النقاد عن الكتب التي تناقشها الندوات فتعص بهم القاعات، لكن اليوم ورغم سهولة الاتصال التي تتيح الإعلان عن الندوات رأينا الجمهور فاقدا لحساس الحضور، فباتت القاعات خاوية، فما الذي حدث؟

انصراف الجمهور عن الندوات الأدبية، يرجع لعدم وجود المثير والحامسي، ولجفاف الأجواء في مثل هذه الندوات النقاشية

الكاتب المصري منير عتيبة، وهو المشرف على مختبر السرديات بمكتبة الإسكندرية يقول "المتابع للندوات الأدبية خلال عقود بلا حوا ولا أن هذه الندوات متنوعة الأغراض. منها ما هو مهم بالشعر فقط أو بالسرد فقط أو بهما معا. ومتعددة الأشكال أيضا. بعضها يعتمد شكل المنصة والجمهور بدرجات متفاوتة لدى مشاركة هذا الجمهور".

ترتيب الأولويات

يرى منير عتيبة أنه على منظمي الندوات الثقافية حسن اختيار الأعمال والكتاب والنقاد المشاركين وعمل ما يستطيعون من دعاية قدر جهدهم. ثم لا يتسلفون بالهم بالعدد والجمهور. فهذه ندوات نخبة متخصصة. كانت وستظل كذلك. ومحاولات جذب جمهور بالخروج عن مجال الندوة الأساسي لا يقدم قيمة معرفية حقيقية وإن جعل صور الندوة أكثر ازدهارا. في حين يرى الدكتور ماهر عبد المحسن أستاذ علم الجمال بجامعة القاهرة أن ظاهرة انصراف الجمهور عن حضور الندوات مؤشر خطر لتردي الحالة الثقافية، خاصة في ظل إقبال نفس الجمهور على فعاليات أخرى مثل مباريات كرة القدم، وأغاني المهرجانات، ويرجع ذلك لأسباب عديدة، نفسية واجتماعية واقتصادية وثقافية، تأتي

من المكاتبات إلى الرسائل الفكرية



مع الوقت شاعت تسمية «أدب الرسائل» باعتبارها نصوصا تستقل بذاتها تحت خطاب أدبي أو فكري أو ديني أو فلسفي

هذه الرسالة الطويلة وما تلاها أو سبقها من رسائل استقلت بوصفها نصوصا سردية خرجت عن نظام الأوبة المكاتبتي البرقي الإشعاري الذي يلجأ إليه كتبة الدواوين، وذهبت إلى التأليف في الخطابات الفكرية والثقافية مع التحضر الجديد الذي رافق الحياة الثقافية العربية في تلك الأزمان لاسيما في العصرين العباسي والأموي، اللذين يُعدان أكثر العصور الإسلامية إنتاجا فكريا وأدبيا غزيرا، ولنا في رسائل الوزير صاحب بن عباد في الاعتزال أحد الأمثلة و"رسالة التبريع والتدوير" للجاحظ كرسالة هجاء ساخرة لغريمه أحمد بن عبد الوهاب التي توفرت على أكثر من خطاب مرسل في بلاغة الفلسفة والدين والفكر في حين اختلفت رسالة أحمد بن فضلان التاريخية عندما زار روسيا برسالة من الخليفة العباسي إلى ملك الصقالبة، فأخذت طابعا سياحيا في أدب الرحلات العربي. إن مثل هذه الرسائل هي كتب تامة اعتمدت النثر وسيلة إيصالية تحت مضامين أدبية وفلسفية عميقة. ولم تكن بطريقة "المكاتبات" التي درجت عليها أروقة العهود الإسلامية الأولى. وبالتالي ابتعدت عن شخصانية الرسائل واتجهت إلى عموميات التجربة النثرية بما فيها من عمق فلسفي وفكري وأدبي. بمعنى تخلصت من العام الموجه سياسيا إلى الخاص الموجه فكريا وأدبيا.

بذاتها تحت خطاب أدبي أو فكري أو ديني أو فلسفي. وبالتالي فإن العمق الأدبي لهذه المنظومة الرسائلية المتعاقبة أخذ يتوسع، لكن بطريقة فيها بعض الغرابة؛ فمن المجموع الرسائلي (رسائل السلطة وتوابعها إلى الأطراف الأخرى) إلى الرسائل المفردة التي يكتبها الكاتب، "رسالة الغفران" مثلا لأبي العلاء المعري وهي العمل السردى العجائبي الفني المتكامل تقريبا في ملامحه الفنية، والتي استوحى منها دانتي مضمون "الكوميديا الإلهية" التي النعيم والجحيم.

الذين دخلوا الإسلام. عندما نشط النثر بشكل خاص عبر "رسائل" أدبية وفلسفية وفكرية أخذت من الوصف الأول "المكاتبات" روح الرسالة في التوجه إلى الآخر، على أن تتوسع صيغتها العلمية والفنية لتكون أوسع تانثرا ومدى كـ"رسائل" أدبية وفكرية تنطوي على إشكاليات فلسفية وأدبية عميقة، مما يجعل مصطلح "المكاتبات" يتضاعف بصفته الشخصية وأخرجه من طوره الموجز والمقتضب إلى فقرات أدبية وفلسفية وروحية أكثر عمقا وشمولا؛ وهو ما أشاع مع الوقت تسمية "أدب الرسائل" باعتبارها نصوصا تستقل

والاجتماعية، وأوجزت مثل هذه الحالات بطريقتها. والكثير من المحققين التراثيين والنقاد المعاصرين عدوها نصوصا أدبية بلغاقتها وإيجازاتها الدالة، مع أنها تطورت بفعل توسع المعرفة والثقافة والفتح والصور الإسلامية المتأخرة على الأنصاري والقطار والدول التي توسعت فيها عسكريا بالفتوحات الإسلامية التي وصلت إلى الصين. فتركت أهميتها من هذه الناحية التاريخية وحتى الصور التي أعقبتها لما فيها من براعة في البلاغة والأفكار والحكم والقيم التربوية والدينية التي بقيت عالقة في خطاباتها، وهي إحدى اللوازم التي لم يتخل عنها الإسلامي المكاتبتي في مجمل ما يكتبه ويرسله إلى الآخر؛ عريبا كان أم غير عربي. وبقي مصطلح "المكاتبات" شائعا بين المرسل والمستقبل، قبل أن يتحول إلى "رسائل" أخذت طابعا أكثر مفهومية في الخطاب الأدبي وتوجهاته.

وخلال تلك الفترة الطويلة، وما فيها من تعقيدات سياسية وخلافات سلطوية متعاقبة وحتى أبعث من القرن التاسع الهجري نشطت الآداب والفنون بنشاط الإمبراطورية الإسلامية واتساعها وتطور الكتابة الأدبية النثرية على وجه الخصوص. يأتي المحور الثاني الذي انشغل به الأدباء والشعراء والمفكرون العرب الإسلاميون وغير الإسلاميين



أدب بين المرسل والمرسل إليه (لوحة للفنان ضياء العزاوي)

وارد بحر السالم
روائي عراقي

بين "المكاتبات" و"الرسائل" اتخذ النثر العربي القديم أكثر من طريقة للتراسل على محورين أساسيين؛ يمثلان المحور السياسي اعتبارا من العصر الإسلامي الأول عندما تطلبت الحاجة أن تخاطب الدول والإمبراطوريات والقبائل لبيان الموقف الديني الجديد الذي أعقب العصر الجاهلي. وهي مراسلات مقتضبة وموجهة فيها بلاغة اللغة الموجهة بإشارات دالة يحملها السعاة، لأغراض معروفة تتعلق بالدخول إلى الإسلام أو الجزية والضرائب وما إلى ذلك. ولو تتبعنا الموضوع إلى أواخر العصر العباسي مثلا لوجدنا أن مثل هذا (الأدب) النثري بات أكثر شيوعا للمكاتبات الرسمية بين القادة والوزراء وأمرء الدواوين باعتباره وسيلة اتصال لا بد منها لتحقيق أهدافها ولو على فترات غير قصيرة. وربما تسببت بعض الرسائل في الحروب والمواجهات العسكرية، لما فيها من لغة انفعالية أو استهزاء بقدرات الخصوم. ومن المؤكد أن مكاتبات العصر القديم بقيت أثرا وديلا ومصدرا أدبيا أولا قبل أن تكون قد سلطت الضوء على الأوضاع السياسية والتاريخية